مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٢٩/٢٠٠٨ هـ.ق، العدد ١٥ (٤) ١٣-٢٨

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

تقرير «ولفسن» لنظرية اسبينوزا حول الإرادة و مقارنتها بآراء بعض الفلاسفة المسلمين

زهرة توازياني[١]

تاريخ الوصول: ١٤٢٧/١٠/٢٦ تاريخ القبول: ١٤٢٨/١٢/٤

ان الحديث يدور حول جواز نسبة الإرادة إلى الله أو عدمه. ويعد اسبينوزا الفيلسوف اليهودي الشهير في القرن السابع عشر من الفلاسفة الذين شككوا بصراحة بجواز نسبة الإرادة الى الله. ولم ينكر اسبينوزا بصراحة حرية الإرادة لدى الله فحسب بل جعل الحكم ذاته سارياً على الإنسان. إن ولفسن شارح نظرية اسبينوزا وفي إطار تقريره لنظرية الأخير أعطى شرحاً حولها وأقر بان اسبينوزا كان في بحث الإرادة الإلهية متفطنا لآراء فلاسفة القرون الوسطى والفلاسفة العرب الذين قد يكون تعرف على آرائهم عن طريق الفيلسوف اليهودي الشهير الآخر "ابن ميمون" وتأثر بعض الشئ بآرائهم وأفكارهم.

ونحاول في هذه المداخلة توضيح وتبيان نظرية اسبينوزا في مسألة الإرادة، كما نتعرض بالتحليل لتقرير ولفسن وآراء عدد من الفلاسفة المسلمين الذين كان لهم رأي آخر في الموضوع لنبين بالتالي أن الكثير من الخلافات بين هؤلاء الفلاسفة الكبار كانت لفظية بحيث نجد ما وراء الأبحاث اللفظية، تشابهاً كبيراً في أفـــكار هؤلاء وأن ما هو أصيل بالنسبة لهم، هو توجيه مبحث الإرادة بشكل لا ينـــال من الذات الإلهية.

الكلمات الرئيسية: الله، الإرادة، الاختيار، الإرادة الإلهية

١. عضو الهيئة العلمية بجامعة الزهراء (س)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

في فكرة اسبينوزا لكتابه «الأخلاق» وفي القسم الثاني منه والذي يرتبط بالإنسان يصل في نهاية المطاف إلى إنكار حرية إرادة الإنسان مثلما توصل إلى نفس النتيجة بالنسبة لله أي إنكار إرادة الله، حرية وغاية تلك.

هذا الكلام نقله كبير مفسري فلسفة اسبينوزا "ولفسن" في كتابه الشهير «فلسفة اسبينوزا»[١]. إن الكلام من الوضوح بمكان بحيث لا يحتمل التأويلات والتفسيرات المختلفة. ويبقى هنا هذا السؤال: "ما هو مفهوم الإرادة عند اسبينوزا وما هي الأسس التي اعتمدها في افتراضاته وعلى أي شئ استند في تحليلاته وما اقتبس من الآخرين الذين سبقوه من الأسس والنظريات حول هذا الموضوع".

ووفقاً لتقرير ولفسن[٢] فإن اسبينوزا وفي كتابيه «الأخلاق» و «رسالة مختصرة» تطرق إلى هذا الموضوع من زاويتين مختلفتين.

ففي "الأخلاق" وبداية طرح فكره السلبي حول إرادة الله تطرق الى آراء الفلاسفة من أصحاب المدارس الفلسفية وتناولها بالبحث والنقد، أما في كتابه «رسالة مختصرة» فقد بدأ بنظرية الفلاسفة المدرسيين حول ماهية الإرادة. ثم طرح رأيه حول «إرادة الله» والذي محصلته النهائية كلمة واحدة وهي إنكار حرية هذه الإرادة.

البحث حول ماهية الإرادة وقبل كل شئ بحاجة الى تحديد مكانة هذه الكلمة بين العلوم المتعلقة بميدان النظرية والتطبيق وسبب ذلك قد يكون التعريف الخاص الذي أورده اسبينوزا عن الإرادة، فهو يرى أن الإرادةهي "قوة تصديق وإنكار وليست رغبة".[٣ و ٤]

وهو تعريف يحتمل عدم التطرق إليه من قبل الذين سبقوه. فالأرسطوئيون الذين كانت لهم بشكل ما علاقة وثيقة بفكرة إله الأديان، لم يكونوا اسبينوزائيي المنطق والتصور رغم أن تقرير ولفسن[٥] يقول إنه من وجهة نظر أرسطو، فان ماهية الإرادة ترتبط بالحسّ (Sensation) والفكر (Thought) من جهة ، وبالرغبة أو الميل (Desire) من جهة أخرى[٦].

لكنه يصرح في الوقت ذاته بأن العقل النظري لا يتحدث عن الأشياء العملية ولا يعطي رأيا خاصاً حول الواجبات وغير الواجبات وإنما عن الرغبة (Desire) التي تتبع الواجبات وغير الواجبات[٧]. إن أرسطو وبالرغم من أنه يفصل الإرادة في الإنسان والحيوان لكنه يعتبرها في الحالتين من قبيل الرغبة والتي تكون في إحداها مبنية على الخيال والوهم وفي الأخرى على التعقل والتأمل[٨]. إن الميل إلى الخير والشرّ في تعبير الأرسطوئيين هي الرغبة (desire) والتي تختلف عن الصدق والكذب بشكل أساسي مثلما تختلف في الخير والشرّ. إن هذه الفقرة لم تغب عن بال ولفسن و لم يبتعد عنها حيث يقول :

"ما يجعل الأمر واضحاً هو هل أن الشيء المنشود خيرا كان أم حقيقة، ليست الرغبة"[٩].

ولكن بالعكس هوالحسّ والخيال أو العقل. الحسّ والخيال يحددان هل هذا الشيء هو المنشود أم لا؟ العقل العملي يشخص نوع العمل ما إذا كان خيراً أم شراً؟ والعقل النظري يبين ما إذا كان الشيء حقيقة أم خطأ[١٠] .

وحسب رأي أرسطو فان ما يبلغ عنه الحسّ هو وجود متعلق في الخارج والفكر هو تصور (image) عن هذا الوجود، أما ما يسمى بالرغبة (desire) فهو توجه لكنه الشيء، فاما أن يكون حقيقة أو خيراً ويختلف مع الحقيقة والخير والأمر المنشود ولكن الذي يوضح الشئ المنشود أهو خير أم حقيقة إذن ليست الرغبة.[١١]

وحسب تصور أرسطو فان الرغبة في شئ أو عدم الرغبة فيه يحددها الحسّ والخيال، الخير والشرّ مهمة العقل العملي، والخطأ والصواب مهمة العقل النظري وهي في مجملها ليست ببعيدة عن الرغبة والمشيئة ولكنها ليست معادلة لمفهومها، إذن ما هي الإرادة؟

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

يسمي أرسطو التعيين بواسطة القسم العقلاني للنفس بأنه الإرادة–سواء أكان العقل العملي أو النظري– يشخص الخير والحقيقة[١٢] ، ويرى أن ثمة قسمين يمكن تمييزهما عن بعضهما؛ القسم العقلاني والقسم غير العقلاني، اذ يمكن بواسطة القسم العقلاني تحديد مفهوم الإرادة، ويمكن بواسطة القسم غير العقلاني تحديد مفهوم الرغبة والميل. وهنا يمكن القول بأن الامر المنشود متعلق بالرغبة ويمكن أن يكون شيئاً مضراً أو شراً أو شيئاً غير صحيح والنفس لم تهتد إلى ذلك الامر بالقوة العقلانية ومثل هذا الاختيار نسميه "الرغبة غير العقلانية" ويكون إزاء الإرادة شيئاً عقلانياً[13] .

وفي الوقت نفسه يعتقد ولفسن شارح نظرية اسبينوزا أن آراء الأرسطوئيين حول الإرادة قد تركت أثرها على اسبينوزا. وحسب اعتقاده فإنه يمكن تلخيص مجمل كلام اسبينوزا حول الإرادة بالنقاط الثلاث التالية :

١– ثمة اختلاف بين الإرادة والرغبة في بعض النواحي

٢– الإرادة مفهوم كلي فقط وليس وجودا حقيقيا

٣– عينية الإرادة مع العقل

وحسب اعتقاد ولفسن فإن هذه الخصائص الثلاث مأخوذة بشكل مباشر من أرسطو أو يمكن نسبتها إليه بشكل غير مباشر[١٤].

وقد تطرق اسبينوزا في "رسالة مختصرة" [١٥] إلى نظرية أرسطو ومنها اقتبس المصطلحات اليونانية الثلاثة وهي : διξερO و δισηλνοβ و άιμνθιπε وأحل محلها المصطلحات اللاتينية الثلاثة وهي : cupiditas وتعني الرغبة أو الميل و voluntas وتعني إرادة الخير أو ما يتصور بأنه خير و voluptas وتعني إرادة الشرّ.

ويقول ولفسن وفق تعريف أرسطو للميل أو الرغبة إنّ مفهومها مفهوم جنسي وهو ينقسم إلى نوعين أي أن أية رغبة سواء كانت رغبة خير أو رغبة شرّ فإنها ان كانت تميل نحو الخير أو نيتها الخير فإنه يسميها «إرادة الخير» (voluntas أو δισηλνοβ) وإن كانت تميل نحو الشرّ أو نيتها الشرّ فيسميها "إرادةالشرّ" (voluptas أو άιμνθιπε).[١٦]

ويعتقد ولفسن أن التمايز الرئيسي بين الإرادة (will) والرغبة (desire) وكذلك بين تأييد ما هو خير أو الرغبة فيما هو خير، الأمر الذي طرحه اسبينوزا في "رسالة مختصرة" ونسبه الى أرسطو' دفعه شخصياً الى تسمية "قدرة التصديق والتكذيب" ب ''الإرادة''. ويعتقد اسبينوزا بأن الإرادة يجب أن تعتبر ك "تصديق أو تصميم" كما أنه يعرف الإرادة بأنها: نشاط ذهني يستطيع الإنسان من خلاله أن يصدق شيئا أو يكذبه ' سواء كان شراً أو خيراً [١٧]. وفيما يعتبر الرغبة شوقا نحو الخير فإن اسبينوزا يريد القول بأن رغبتنا قبل أن تميل إلى شئ تقرر أنه خير أي نستطيع القول أن الإرادة تسبق الرغبة[١٨].

وقول ولفسن[١٩] أن اسبينوزا يوضح ذلك الاختلاف الرئيسي بين الإرادة voluntas والرغبة cupiditas مرة اخرى في كتابه «الاخلاق»[٢٠] توضيحاً يختلف عن توضيحه في «رسالة مختصرة»، ففي «رسالة مختصرة» تعتبر الإرادة نحو الخير والشرّ تصديقاً أو تكذيباً أو حسب ادعاء أرسطو بأنها العقل العملي في حين ورد في كتاب "الأخلاق" بأن التصديق والتكذيب إرادة نحو الحقيقة والخطأ أو بتعبير أرسطو التصديق والتكذيب هو العقل النظري.

ويحلل اسبينوزا في كتاب «الأخلاق»[٢١] مفهوم الإرادة voluntas بأنه القوة التي بواسطتها يستطيع العقل أن يصدق شيئاً أو يكذبه والرغبة cupiditas هي الشيء الذي يستطيع العقل بواسطته أن يرغب في الشئ أو يرفضه.

ويشير ولفسن إلى استخدام مفهوم الإرادة في كتاب "الاخلاق" ل اسبينوزا وحصيلته أن الإرادة تعادل السعي العقلي وهو يؤكد هذا الأمر اذ أن اسبينوزا يرجع الإرادة

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

أحيانا إلى قرار العقل العملي[٢٢] ودليله على ذلك عبارة اسبينوزا التي قالها بأن «الإرادة»[٢٣] أو الرغبة كانتا في الخير"[٢٤]. وقد اشار شارح اسبينوزا في بحثه حول مفهوم الإرادة عند اسبينوزا إلى أصحاب المدارس الفلسفية والفلاسفة العرب المسلمين وبيّن أن تحديد ماهية الإرادة من جهه نسبتها إلى الله وعدمه قد نال كثيراً من اهتمام الفلاسفة المسلمين العرب أيضاً كما كان مهما لمتكلميهم، لأن نسبة الإرادة الى الله أو عدمها ترسم في الأذهان صورة مختلفة كلياً عن موجود متعال ' لذا كان بحث الإرادة بالنسبة لفلاسفتنا مطروحاً في عدة مواضيع من مواضيع البحث الفلسفية. ويتم مرة في بحث المقولات وذيل مقولة "كيف". ويتم تناول ماهية الإرادة بصورة كلية وتحليلها تحليلاً ذهنياً وبعد ذلك يتم الحديث عنها في البحوث الخاصة بالنفس وبصورة خاصة في قسم الالهيات وفي ذيل صفات الله.

إن طرح بحث الإرادة في المجالات أو الميادين المذكورة يحظى كل واحد بخصائص معينة، وصحيح أن الفلاسفة المسلمين– سواء رغبوا أم لا– قد تأثروا بآراء أرسطو في هذا المجال إلا أن هذا لا يعني أنهم لم يكن لهم رأي خاص بهم. في "نهاية الحكمة"[٢٥] تطرق العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي إلى موضوع الإرادة في ذيل البحوث المتعلقة بالكيف النفسي واستشهد أولاً بكلام الملاصدرا في «الأسفار» حيث يقول «ان الإرادة هي من الكيفيات النفسانية». إن هذه المسالة متفق عليها تقريبا من قبل كافة الفلاسفة المسلمين، و على الرغم من وجود هذه الآراء لا يمكننا أن نصل إلى تعريف دقيق لمفهوم الإرادة من بين المفاهيم التي رغم وضوح معناها، يصعب بيان صورة حقيقية عنها ولذلك أشار صدر المتألهين في المجلد الرابع من كتاب "الأسفار"[٢٦] إلى هذا الموضوع إذ يقول "إن الإرادة بالنسبة للحيوان هي من الكيفيات النفسانية" إذ يتبادر إلى أذهاننا أن معناها واضح من جانب العقل والعقل يميزها عن غيرها من الأمور وفي الوقت نفسه يصعب الوصول إلى تعريف واضح عنها يرسم لنا صورة حقيقية عن الإرادة، ولكن في العرف فإن مفاهيم مثل «الرغبة» و «الميل» و «الشوق» وحتى «العلم» تستخدم أحياناً بدل مفهوم الارادة.

لقد خصص الفلاسفة المسلمون قسماً أو باباً من رسائلهم لتوضيح هذه المسألة المحورية وتجنب الخلط بين هذه المفاهيم وبالشكل الذي أشار إليه ولفسن فإن هذه الرسالة الفلسفية قد تأثر بها الفلاسفة الإسلاميين وهم من هذه الناحية مدينون إلى أرسطو. فمثلاً يصرح "الملاصدرا" بأن "الإرادة مع الشهوة" (اي الرغبة والاشتهاء) مختلفان مثلما يوجد فرق بين الكراهة والنفور في مقابل الشهوة. إذ أن الإنسان في بعض الأحيان يصمم أو ينوي عملاً من دون أن يرغب فيه مثل أخذ الدواء المر لأنه مفيد لصحته ويطلب أحيانا شيئا (ويشتهيه) لكنه يريده مثل تناول طعام لذيذ مضر بصحته.[٢٧]

ويقول الملاصدرا إن المتكلمين يعتبرون «الإرادة» بأنها أحد طرفي الأمر الممكن والبعض الآخر يقول إن الإرادة في الحيوان تمثل الرغبة المؤكدة في الحصول على المراد والبعض قال بأن الإرادة تتعارض والرغبة المؤكدة بل إن الإرادة هي الإجماع والتصميم والعزم. لأنه كما قلنا فان الانسان لا ينوي أو لا يقرر شيئاً أحياناً لكنه يرغب فيه (أي يشتهيه) وأحياناً ينوي شيئاً ولكنه لا يشتهيه. والفرق بين هذه الامور هو ان الإرادة هي رغبة أو ميل مختار والشوق ميل طبيعي.

«الفرق بينهما بأن الإرادة ميل اختياري والشوق ميل طبيعي»[٢٨].

ويقول الملاصدرا إن الانسان الذي يرى أن ثمة فرقاً بين الإرادة والشوق يعلم أن الأعمال الاختيارية المتعلقة بالحيوان هي خمسة اشياء :

١– التصور

٢– الاعتقاد بالنفع أو دفع الضرر

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

٣- الشوق

٤- الإجماع الذي يسمى «الإرادة»

٥- القوة الدافعة [٢٩]

ويرى الطوسي في كتاب "تجريد الاعتقاد"[٣٠] أن الإرادة والكراهة هما نوعان من العلم.

ويصرح العلامة الحلي في شرحه لهذا الكتاب[٣١] بأن «الإرادة» و "الكراهة" هما من الكيفيات النفسانية وأنهما بالمعنى الأعم نوعان من العلم. ويعرف «الإرادة» بعلم الكائن الحي أو اعتقاده أو ظنه بوجود المصلحة والمنفعة في الفعل إذ يقابله الكراهة و "الكراهة" علم الكائن الحي أو ظنه واعتقاده بمفسدة في الفعل.

كما يشير العلامة الحلي في شرحه[٣٢] إلى قول الذين يعرّفون الإرادة والكراهة بانهما زائدتان على العلم ومترتبتان عليه.

وقال آخرون "ان الإرادة والكراهة زائدتان على هذا العلم ومترتبتان عليه".

وقد تعرض الشيخ الرئيس ابن سينا كغيره من فلاسفة المسلمين وفي مواضع من آثاره مرة لبحث الإرادة بحثاً عاماً ومرة أخرى بحث الإرادة الالهية بحثاً خاصاً والذي كان لبحثه الأخير أي بحث إرادة الله أثره بشكل غير مباشر على اسبينوزا' واعتبر أن الإرادة سواء كانت في الانسان أو الحيوان هي بشكل عام سبب من أسباب الفعل' وذهب إلى الاعتقاد بأن أي كائن علته الإرادة المخصصة بذاتها.

"الإرادات علة للكائنات وكل كائن فعلته إرادة ما والإرادة تتخصص بذاتها فلا تحتاج إلى مخصص كما يحتاج سائر الحادثات الى مخصصات".[٣٣]

والذي يجمع عليه الفلاسفة المسلمون هو نسبة الإرادة الى الله و إلى الأنسان أيضاً رغم أنهم يعتقدون بوجود اختلاف في نوع الإرادة المنسوبة إلى البشر والإرادة الالهية في حين يعتقد اسبينوزا أن الإرادة كأمر حرّ لا يمكن أن تنسب إلى الله أو إلى الإنسان. وكما أشرنا سلفاً بأن الشيخ الرئيس ابن سينا اعتبر الإرادة بانها علة الموجودات إلا أنه أشار بصورة صريحة إلى وجود فرق بينهما والإرادة الإنسانية وذلك في كتاب التعليقات اذ يقول :

"الإرادة فينا لا تكون لذاتنا بل خارجة عنا، واردة علينا من الخارج وإذا كان كذلك فجميع ما يكون لنا من إرادة ومشيئة وفعل وإدراك عقلي وحركة، تكون بالقوة لا بالفعل ويحتاج إلى سبب معين مخصص يخرج أحد الطرفين إلى الفعل".[٣٤]

وليس الشيخ الرئيس وحده ولكن كثير من الفلاسفة المسلمين أيضاً لهم آراء وتعاريف متفاوتة عن الإرادة اذ يجدون أن بعض تلك المعاني لا يمكن نسبتها إلى الله.

إن الشيخ الرئيس هو من الاشخاص الذين جعلوا للإرادة معنيين مختلفين أحدهما منقول من الغرض الإلهي والآخر غير منقول. الجدال حول نسبة الإرادة أو عدم نسبتها الى الله تعالى بحد ذاته يبين صعوبة تبيين الإرادة الإلهية.[٣٥]

إن مبدأ إثبات الإرادة له، سواء بين المتكلمين أو بين الفلاسفة، كان متأثراً بهذه الفكرة وهي أن كل المقدورات متساوية لواجب متعالٍ ولذلك فإن الإرادة ضرورية وواجبة لتخصيص أو ترجيح أحد المقدورين. إن كل هؤلاء كانوا يعتقدون أنه ان لم يكن الله فاعلاً بالطبع أو بالقسر- وبما ان هذا الكلام مستحيل جملة وتفصيلا-تعين الأمر في فاعلية إرادة الله.

ووفقاً لتقرير العلامة الحلي في "كشف المراد"[٣٦] فإن معان مختلفة عن الإرادة تكونت في أذهان المتكلمين المسلمين وتشتمل على الامور التالية :

١- إن بعضهم اعتبر الإرادة بأنها النفس الداعية

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

٢- والبعض الآخر عرف ‘‘الإرادة’’ بأنها عبارة عن صفة سلبية اذ يقولون بأن كون الشخص يريد الله فإن ذلك لا يعني أنه يكون مجبوراً أو مقهوراً له.

٣- ويرجع البعض الإرادة إلى معرفة الإنسان لأفعاله والأمر والطلب لأفعال غيره.

٤- وتعتبر فرق أخرى مثل الأشاعرة والحنابلة والجبائيين الإرادة بأنها صفة زائدة على العلم.

وإضافة إلى المعاني المختلفة للإرادة فإن بعض الخلافات بين الفلاسفة والمتكلمين تعود إلى حقيقة ‘‘الإرادة’’ ومنها هل أن الإرادة حادثة أم قديمة.[٣٧]

إن الشيخ الرئيس ابن سينا واحترازا للوقوع في التخبط يقوم بداية بفصل معنى ‘‘الإرادة’’ عن "الغرض" اذ يقول : مثلما ان هناك فرقاً بين "الغرض" و "الدواعي" فإن ثمة فرقاً بين ‘‘الإرادة’’ و " الغرض".

"الفرق بين الإرادة والغرض وبين الغرض والدواعي أن الغرض هو الغاية التي توجب الفعل وكذلك الدواعي والإرادة لا توجب ذلك ، فالغرض هو إرادة جازمة".[٣٨]

وطبقاً لكلام الشيخ الرئيس فإن "الغرض" هو تلك الغاية التي توجب الفعل في حين أن ‘‘الإرادة’’ لا توجب الفعل.

ونظراً إلى الآلية التي يتبلور الفعل الإرادي للإنسان فيها نستطيع أن ندرك لماذا لا يقبل الشيخ الرئيس أن ينسب نوعاً واحداً من الإرادة الى الله. وباعتقاده فان كل الموجودات الصادرة عن الذات الإلهية ومقتضى ذاته[٣٩] متعلقة بارادته وإذا قيل إن الأشياء مراد ذات الله فإن هذا لا يعني أن الله أرادها لغرض ما بل أرادها "لاجل ذاته ولأنها مقتضى ذاته"[٤٠]. ووفقاً لبيان الشيخ الرئيس فإن الإرادة لا تكون الا لشاعر بذاته:

"والإرادة لا تكون الا لشاعر بذاته".[٤١]

ولكن نظراً إلى أن الأفعال الإرادية لا تصدر من مبدأ واحد بل إن المبدأ يمكن أن يكون "عن علم" و "عن تخيل" ، و "عن ظن" وبناء على ذلك لا يكون الفعل الواجب الوجود ناتجاً عن الظن أو التخيل لأن هذا الفعل في هذه الحالة هو لغرض يتسبب بانفعال وهذا امر مرفوض بالمرة.

وفي ضوء ذلك فإن تشخيص موافقة الفعل والشوق مع تحصيله في الله هو أمرغير صحيح. بل إن صدور الموجودات يتم باقتضاء ذات المعشوق الالهي وعلمه بأنه فاعلها وعلتها.

إن الشيخ الرئيس يطلق اسم "فاعل بالعناية" على من تكون أفعاله "عن علم" و "سببية" و "رضا" وهو يؤكد في كتابه[٤٢] أن الإرادة إذا كانت مغايرة للذات فهي ليست بعلمه.

"فواجب الوجود ليست إرادته مغايرة الذات لعلمه ولا مغايرة المفهوم لعلمه فقد بينا أن العلم الذي له بعينه هو الإرادة التي له"[٤٣].

"العلم في الأول هو نفس الإرادة لأن هذه المعلومات مقتضى ذاته وهذا المعنى هو معنى الارادة.[٤٤]

وحصيلة كلام الشيخ في مسألة الإرادة هي أنه إذا ما اعتبرت الإرادة بأنها أمر ذات مبادئ كما هو الحال عند الانسان أي أنها تتبع مقصده وتتغير حسب المقصود فإن إرادة كهذه أينما تحققت فإن افعالاً مختلفة تصدر عن المريد حسب اختلاف الدواعي أما إذا كانت الإرادة غير تابعة لداع فإن الافعال الصادرة عن المريد هي على سبيل اللزوم.[٤٥] واللازم هنا بمعنى "تابع علمه بذاته" لذلك اذا نسبت الإرادة إلى الله ومثلما هو في "المبدأ والمعاد"[٤٦] فالموجودات لا يراها خالية من نوع من الإرادة وهي حتماً ليست كالإرادة البشرية ويعني ذلك انها إرادة لا سبب لها ليست منفعلة من شئ وليست ذات غرض".

إن شارح اسبينوزا يشير الى آراء فلاسفة القرون الوسطى بخصوص عينية العقل (intellect) والإرادة(will) والقدرة (power) في ذات الله. ويقول انه ورد في أقوال اسبينوزا هذا الموضوع؛ أي أن اسبينوزا كان متفطناً لآراء الفلاسفة

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

المدرسيين. وفي جداله مع معارضي عينية الإرادة مع العلم والعقل في الإنسان يقول "أعتقد أن العقل والإرادة هما واحدة في الانسان كما هو في الله ' بناء على نفس الأدلة المأخوذة من نصوص أرسطو ويمكنكم أيضاً أن تبرروا عينيتها في الله وأنا أستطيع أن أبرر عينيتها في الإنسان".[٤٧]

لقد لخص "ولفسن" رأي اسبينوزا حول ماهية الإرادة بثلاث نقاط :

١- لاحظ اسبينوزا أن الإرادة (will) أمر مختلف عن الرغبة (desire) واعتبرها بأنها قوة تصديق أو تكذيب شيء، إما هو حقيقي أو خطأ.

٢- يرى اسبينوزا أن الإرادة العامة غير حقيقية وكان معتقداً بعدم وجود إرادة بمعزل عن الإرادات الجزئية مثلما يعتقد بعدم وجود عقل غير التصورات الفردية.

٣- كما كان اسبينوزا يعتقد بأن العقل والإرادة هما شيء واحد وذات عينية[٤٨] .

وفي تحليل ماهية الإرادة من وجهة نظر اسبينوزا يمكن أن نجد عناصر من أفكار ابن سينا ولكن مع اختلاف أن ابن سينا يعتبر أن الحكم بعينية العقل والإرادة أو العلم والإرادة يكون صادقاً بالنسبة لله فقط في حين أن اسبينوزا وكما قلنا سلفاً فقد أكد هذا الأمر حتى بالنسبة للإنسان.

وبالرغم من أن اسبينوزا وفي توضيح ماهية الإرادة كان متأثراً بآراء فلاسفة القرون الوسطى وحتى باصطلاحاتهم إلا أن مسألته الأساسية ليست تعريف ماهية الإرادة؛ بل إن المسالة المهمة هي جواز نسبة مقولات مثل الإرادة (will) والفهم(understanding) والرغبة (desire) والعشق (loving) بالله أو عدمها .

وكما أشار ولفسن فان المسألة الرئيسية بالنسبة لاسبينوزا هي أنه يريد أن يبين أن الإرادة ليست "حرة" وكما ان الفهم understanding والرغبة desire والعشق loving هي مجرد حالات الفكر[٤٩]، فإن الإرادة تعتبر أيضاً من الحالات.[٥٠] لذلك وقبل أن نبحث موضوع نسبة الإرادة إلى الله وعدمها فانه يجب التأمل في رأي اسبينوزا. وحسب رأيه فان الإرادة عرفت لهذا السبب بأنها الفكر؛ لأن الفكر هو سببها وفي الحقيقة فإن الحالات في المراتب المتدنية من الكون تعتبر من المعاليل ولا يجوز نسبتها الى الله.

ويذكر ولفسن في شرحه ايضاً أن عدم امكانية حرية الارادة من قبل اسبينوزا هو دليل على عدم انتسابها الى الله ووفقاً لتقريره واستناداً الى قول اسبينوزا في إثبات القضية ٣٢ من القسم الأول من كتاب "الأخلاق". فإن هذا الاصل هو العلية التي اعتبرها مانعا لقبول حرية الارادة -كما يزعم - لأن أي نوع منه التأييد affirmation أوعمل الارادة يجب أن يتعين بواسطة علة وهذه العلة تتعين بدورها بواسطة علة أخرى وهكذا الى ما لا نهاية وهذا الأمر يودي الى هذه النتيجة وهي أن تأييد الإرادة أو عمل الارادة معلل ليس بواسطته وانما بواسطة الله الذي هو العلة النهائية لكل شيء.[٥١]

وبناء على ذلك فإن الشيء الذي لا يمكن أن يحدث بدون علة لن يكون حراً [٥٢]. ويمكن ان نجد مثل هذا الاستدلال حول الفهم أو الحالات الأخرى من الفكر في كتاب "الأخلاق" لاسبينوزا فهو يشير بوضوح إلى أنه لا وجود لأي قوة مطلقة في النفس عن الفهم understanding والرغبة desire والعشق loving وغيره[٥٣] ويؤكد في "رسالة مختصرة" على هذه النتيجة وهي أنه لا وجود لاي نوع من الحرية سواء في المفاهيم التي تظهر بواسطة النفس او التاييد والتكذيب الذي يحدث حول صحة وخطأ هذه المفاهيم أو في ارتكاب واجتناب النفس للخير والشر[٥٤]. إن إنكار حرية الإرادة من قبل اسبينوزا لا يقتصر على الله لكنه يكرر في توضيح مثله في خاتمة القسم الأول لكتاب «الاخلاق» هامش القضية التاسعة والاربعين من القسم الثاني لنفس الكتاب،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

مسألة القصد design التي هي صورة خاصة من مسألة المشيئة بدون دليل للارادة الالهية حول الإنسان ايضاً. أي كما أنه ختم القسم الأول بمسألة غاية الله والإرادة الحرة التي زعم أنها ليست دليلاً عليه، فقد ختم القسم الثاني بمسألة مشيئة الإنسان وإرادته الحرة التي قال أنه لا دليل عليه. وكان اسبينوزا ملماً بالمعاني التي يفهمها الناس عن المشيئة ومع علمه بهذا الأمر فإنه لم يكن يعتبر أن هذا يمكن نسبته إلى الله و لم يقبل بها فيقول "الناس يتصورون بأن الله قادر على فعل الأشياء التي يراها لازمة لطبيعته أي أنها تحت قدرته فإنه يمنع خلقها أو بواسطته لا تخلق[٥٥] أي لديهم تفسير "إمكاني" عن "المشيئة في حين أن المشيئة في الله ليس بمعنى الإرادة الحرة ولكن المشيئة المتعلقة بالله هي بمعنى "هو أنه يتصرف فقط حسب قوانينه و لم يجبر من قبل أحد أو شيء".[٥٦]

وفي النتيجة التي يصل اليها من برهان القضية السابعة عشر من القسم الاول لكتاب "الأخلاق" يؤكد على أن ما عدا كمال طبيعة الله فلا علة خارجية قادرة على إجبار الله بفعل شيء ولا سبب او علة في داخله أي الارادة.

وفي بيانه "لا علة في الداخل" ينفي الإرادة والغرض في الله ويظهر بأن الحالات ومنها الارادة التي هي ناشئة من ذاته لا يمكن أن تكون حافزاً له في عمل ما.

آراء الفلاسفة المسلمين حول نسبة الارادة الى الله (عز وجل)

للفلاسفة المسلمين أيضاً تساؤلات كثيرة حول نسبة الارادة الى الله فمثلاً اذا كان ابن سينا اجاز نسبة الارادة الى الله فإنها لم تكن حتماً بنفس المعنى بالنسبة للإرادة الإنسانية. إن الإرادة التي أجاز نسبتها الى الله تتصف – على الأقل– بعدد من الخصائص:

١– إرادة ليس لها سبب.

"وإرادة الباري لا تكون لها سبب"[٥٧] .

٢– إرادة ليس لها صفة انفعالية.

"لانه لا ينفعل عن شيء"[٥٨] .

٣– إرادة ليس لها غرض او داع[٥٩] .

"ولا يكون غرض في شيء"[٦٠] .

لأن الغرض لا موضوعية له بدون شوق و "الغرض لا يكون إلا مع الشوق"[٦١].

٤– إرادة لا تتغير بتغير المقصود [٦٢].

٥– إرادة غير حادثة.

"ان هذه الإرادة غير حادثة"[٦٣] .

٦– إرادة لا يكون فيها امكان.

"ولا يكون فيها إمكان إرادة او إمكان مشيئة".[٦٤]

وخلاصة القول إن الإرادة هي واجبة عين العلم.

"فإذن يجب أن تكون إرادته علمية"[٦٥] .

"والإرادة نفس العلم"[٦٦].

واذا ما نسبت إرادة إلى الله بالشكل الذي توصل إليه الشيخ الرئيس حول دور الإرادة الإلهية في صدور الموجودات فإن ذلك لا يختلف كثيراً عن تعريف اسبينوزا للمشيئة (وليس الإرادة الحرة) عن ذات الله، لأنه كما يعتقد الشيخ الرئيس فإن نوع الفاعلية الاعتنائية لله تقتضي بأن تكون كل المخلوقات صادرة عن ذاته وتكون باقتضائه ويمكن أن نقول أنها صادرة كلها عن إرادة الله كما يصرح بهذه في التعليقات :

"هذه الموجودات كلها صادرة عن ذاته وهي مقتضى ذاته فهي غير منافية له وإنه يعشق ذاته فهذه الاشياء كلها مراده لاجل ذاته فكونها مراداً له ليس هو لأجل ذاته ولأنها مقتضى ذاته".[٦٧]

يذكر «فخر الرازي» – وهو من الفلاسفة والمتكلمين المسلمين، ومعروف بدقته الكبيرة في الفلسفة، ويعرفه القاصي والداني في "المباحثات المشرقية"[٦٨]– في الفصل الذي خصصه للإرادة الالهية اقوال الفلاسفة واحتجاجاتهم في هذا المجال

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

ويصرح بأن الفلاسفة يعتبرون صدور الممكنات عن الله تعالى بأنه ناتج عن قصد وغرض :

"قالت الحكماء لا يجوز أن يكون صدور الممكنات عن الباري تعالى لأجل قصد منه إلى إيجادها أو غرض له في ذلك"[٦٩] .

وبعد أن يشرح نظرة الفلاسفة يبدأ اولاً برفض نظرية الذين يرون أن هناك منافاة بين نوع الفاعلية العنائية الإلهية وكونه مختاراً واعتبروا ذلك مؤشراً على موجبية الله :

"فإنّ ما يقال من الفرق بين الموجب والمختار فان المختار يمكنه أن يفعل وأن لا يفعل والموجب لا يمكنه أن لا يفعل كلام باطل".[٧٠]

استدلاله أن الإرادة مادامت متساوية النسبة فلن تكون جازمة ولذا فإن حدوث المراد سيكون كذلك ممتنعا ومتى ما ترجح طرف على آخر فانه سيؤدي إلى إيجاد فعل ولذلك لن يكون هناك فرق بينه وبين سائر الموجبات مع اختلاف أن المريد هو شخص في صدور الفعل غير المنافي مع ذاته العالمة، وغير المريد هو شخص في صدور الفعل في ذاته غير عالم مثل القوى الطبيعية واذا ما كان "عن علم" أو حصل ذلك ليس فعله الملائم.[٧١]

ولذلك يمكن نسب الإرادة إلى الإله العالم وفعله ملائم له وبدون إمكانية عدم وقوع الفعل الشرطي في المريد أو حتى إذا ما كان قادراً. إضافة الى أن تصريح «فخر رازي» من العلم الإلهي من وقوع فعل في الوقت الفلاني لا يجتمع مع عدم وقوعه يظهر أن الارادة لا يمكن جمعها مع جهة الإمكان لأنه عدم وقوع شئ متعلق بالعلم الالهي يستلزم جهل العلم الرباني بذلك وهو أمر محال والمؤدي الى محال هو محال ايضاً. لذا بما أن عدم الوقوع محال فإن الأمر يتعين من باب الخروج من الطرفين النقيضين في الوجوب وهذا لا يتنافى مع كون الله مريداً او قادراً.

لذلك فإن علمنا بإمكان "لا عدم وقوع شيء" ليس شرط لإيجاب ذلك أو مطلوبيته.[٧٢]

إن الطوسي وهو من فلاسفة القرن السابع الهجري في كتابه "تجريد الاعتقاد" وفي المقصد الثاني وبعد بحث عام في خصوصية ماهية الإرادة والذي اشرنا اليه سلفاً وفي المقصد الثالث والذي خصص لبحث الإلهيات بشكل خاص وفي ذيل صفات الله وفي المسألة الرابعة المخصص ببعض الممكنات أثناء الإيجاد، يعتبر في وقت معين ذلك دليلاً على الإرادة الإلهية ويظهر بأنه مجوز نسب الإرادة الى الله ويستدل على ذلك لكنه وعلى العكس من الفلاسفة الذين سبقوه يعتبر الإرادة في الله ترجيحاً غير القدرة والعلم لأنه برأيه شأن العلم بما هو علم ليس تاثيراً وايجاداً حتى يتم البحث ما اذا كان هذا العلم موجب الفعل أم لا؟ وكذلك القدرة ومع وجود شائبة الايجاد فان نسبتها متساوية مع جميع الممكنات ولذا لا يمكن اعتباره مساوياً للارادة.

"وأيضاً بعض الممكنات يخصص بالإيجاد في وقت دون ما قبله وبعده مع التساوي فلا بد من مرجح غير القدرة والعلم".[٧٣]

كما ان الطوسي لا يعتبر الإرادة زائدة على الداعي؛ لأنه برأيه إذا كانت الارادة زائدة على الداعي لزم تسلسل وتعدد القدماء.[٧٤]

ونظراً الى قول الطوسي فإنه يتضح بأن موقفه في هذا الخصوص له صبغة كلامية تامة ويعتبر نفسه مسؤولاً أمام المذاهب الكلامية المختلفة سواء الأشاعرة أوالمعتزلة وقد اختار في الحالة الأخيرة قول أبوالحسن البصري وهو من شيوخ المعتزلة.

إن صدر المتألهين الشيرازي مؤسس الحكمة المتعالية ومن فلاسفة القرن الحادي عشر الهجري يبحث في العديد من مؤلفاته بحث الإرادة. شأنه في ذلك شأن الفلاسفة السابقين

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

وتطرق إلى بحث الارادة في الأمور العامة مرة وفي الإلهيات بالمعنى الخاص مرة أخرى. وبحث في الأمور العامة ماهية الإرادة بشكل عام وفي الالهيات بشكل خاص بوصفها صفة من صفات الله. وأشير سلفاً الى رؤية الملاصدرا حول ماهية الارادة لكن اختياره بخصوص الإرادة الإلهية يتم في إطار وهيكلية نسبة الصفات الى الذات. وكما نعلم فان الملاصدرا هو من الفلاسفة الذين يؤمنون بقول عينية الصفات الكمالية بالذات الأحدية.[٧٥]

"صفات الواجب جل اسمه ليست زائدة على ذاته كما يقوله الأشاعرة الصفاتيون، ولا منفية عنه كما يقوله المعتزلة المعطلون ...، بل وجوده الذي هو ذاته هو بعينه مظهر جميع صفاته الكمالية".[٧٦]

وعندما يتناول هنا- بصورة خاصة- بحث الصفات الواجبة يقول صراحة بأن إرادة الله هي عين علمه وأن هذين الاثنين هما عين ذاته من دون تنافس أي تغاير سواء التغاير في الذات أو التغاير في الاعتبار.

"فإذن قد صرح واتضح : أن كونه عالماً ومريداً أو واحداً من غير تغاير لا في الذات ولا في الاعتبار فاذن إرادته بعينها هي علمه بالنظام الأتم وهو بعينه هو الداعي والغاية في هذا الاختيار لا أمر آخر من العالم الإمكاني".[٧٧]

وواضح في بيان الملاصدرا بأن الإرادة الالهية لا تقتضي داع وغاية خارج الذات وأن صدور الموجودات من الله هو بشكل يمكن اعتباره حصيلة الكمال الإلهي، لا أن تكون الموجودات صانعة الكمال لله لذلك فان الله ليس لديه غاية وراء ذاته وكما جاء في اشارة الملاصدرا:

"العالي لا يفعل شيئاً لأجل السافل ولا غرض للقوى العالية في ما دونها حتى يفعل لاجل صلاح ما دونها شيئا".[٧٨]

ويشير الملاصدرا بعد بحثه المسهب الذي يظهر سعة اطلاعه على الآراء المختلفة للفلاسفة والمتكلمين سواء المتقدمين أو المتأخرين، يشير بداية الى تفاوت إلارادة الالهية مع إلارادة الانسانية تأييداً لرؤيته عن طريق الرواية والنقل. ورغم أنه يعتبر قاعدة "العالي لا يفعل شيئا لاجل السافل" جارية في الافعال الإرادية للإنسان، لكنه وفي ظل هذا التفاوت الأساسي للارادة في الله بأنه عين علمه وعين ذاته استناداً الى الايات القرآنية "والله الغني وانتم الفقراء" و "اليه يرجع الامر كله" و "ألا الى الله تصير الأمور" يتوصل الى هذه النتيجة المنطقية التامة بان الله هو غاية جميع الامور ولا توجد في فعله غاية وغرض، خارجة عن ذاته المقدسة لأنه لو كان لله إرادة زائدة على ذاته او سبب وداع خارجي لم تكن ذاته المقدسة غاية الموجودات.[٧٩]

وإضافة الى الآيات القرآنية فان الأحاديث المروية عن الأئمة الأطهار، تشكل سندا آخر للملاصدرا ليؤكد بواسطتها نظريته الفلسفية. وينقل حديثاً عن أصول الكافي عن قول صفوان بن يحيى بأنه سأل ابوالحسن (ع) بأن يوضح له إرادة الخلق وإرادة الخالق فاجابه الامام (ع) "الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله فإرادته أحداثه لا غير ذلك ... فإرادة الله الفعل لا غير ذلك. يقول له "كن فيكون".[٨٠]

وواضح تماماً في بيان الإمام المعصوم بأنه لا مسافة بين الإرادة والإحداث وهذه القضية كانت موضع إهتمام الفلاسفة المسلمين فيما يخص التصوير الدقيق لفاعلية الله. وإذا كان حكيم ما قد رفض الإرادة لدى الله فإنه كان يقصد معنى من الارادة الذي يستخدم بشأن الإنسان، لكن الارادة التي أعتبرت بانها عين العلم والقدرة فإن إسنادها الى الله هو مقبول من معظم الحكماء المسلمين.

إن العلامة محمد حسين الطباطبائي وهو من الفلاسفة المتأخرين الذين ينكرون بصراحة وجود إلارادة لدى الله يتضح من خلال التعريف الذى يقدمه عنها بان مقصوده هو

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

الإرادة لدى الانسان وهذا الأمر واضح تماماً في توضيحه في قسم الالهيات بالمعنى الأخص:

"وكذلك الارادة التي هي كيفية نفسانية غير العلم والشوق فإنها ماهية ممكنة والواجب تعالى مترہ عن الماهية والإمكان" [٨١] ومن وجهة نظر العلامة الطباطبائي فإن الإرادة هي كيف نفساني ولذلك فإنها تعتبر من مقولة الكيف والماهيات، والماهيات هي ممكنة. وإضافة الى أن الإرادة هي متماشية بهذا المعنى مع المراد ولم تكن موجودة لا قبله ولا بعده ولهذا الاعتبار فإنها أمر كائن وفاسد لذلك فانه لو تم نسب هكذا مفهوم من الإرادة الى الله فإن ذلك سيستلزم تغير الموصوف اي الواجب وهذا محال.[٨٢]

وفي رده على مستشكل يرى أن التعريف الذي قدمه العلامة الطباطبائي عن قدرة الله لا يشتمل على إثبات الإرادة ليس للواجب في حين أن تعريف الحكماء يتضمن اثبات الارادة باعتبارها صفة ذاتية لله، وقد فسر العلامة الارادة الواجبة بأنها العلم بالنظام الأصلح، يؤيد العلامة رؤية الحكماء في تفسيرهم لمعنى القدرة لكنه يتطرق الى هذه النقطة بان الحكماء يعتبرون العلم الواجب لله يشكل مصداق ارادته لكن إثباته صعب وأكثر شبهاً بتزييف الاصطلاح.[٨٣]

وكذلك في معرض رده على مستشكل آخر اعتبر "أن كون الإرادة كيفاً نفسانياً لدينا لا يمنعنا من اعتبار الإرادة في الواجب بأنها العلم الذاتي للارادة" يقول العلامة الطباطبائي:«اننا لا ننكر بأن الفاعل المختار إذا كان من نوع الحيوان فإنه لا يقوم بافعاله الارادية الا عن طريق العلم، بمصلحة الفعل والإرادة التي هي على شكل الكيف النفساني. كما أننا نقبل بأن أفعال الله تعالى لا تصدر الا عن طريق العلم بمصلحة الفعل. لكننا نرفض أن وجود العلم الواجب لله تعالى للمصلحة هو وجود الارادة والمشيئة رغم أن ماهيتها ليست كيفاً نفسانياً.[٨٤]

ومعنى كلام العلامة هو أنه لا يمكننا اثبات أن الارادة صفة ذاتية لله تعالى. وبعبارة أخرى فإن المقصود من الإرادة إما يكون ذلك الشيء الذي عندنا والكيف النفساني يتغاير مع العلم وعندها لا يمكن نسبته الى الله أو أن يكون له معنى آخر مجهول بالنسبة لنا ولا نعرف هكذا مفهوم عن الإرادة.

والعلامة الطباطبائي- وبعد هذا البحث- يوافق على نسب الإرادة الى الله في حالة واحدة فقط وهي من باب التوسيع بلوازم المعنى الحقيقي والآثار المترتبة عليها وفي هذه الحالة فانها تنتزع من مقام فعل الله لا عن الذات. أي إنه يمكن نسبها الى الله باعتبارها صفة فعل الله.[٨٥]

أي ان فعل الله لا يصدر بسبب إجبار او إلزام عامل خارجي، لكن يصدر باختياره ورضاه وان تحقق هكذا فعل، هو من لوازم الإرادة بمعناها الحقيقي. ومن لوازم الارادة وجود العلة التامة وبما أن الله هو العلة التامة للعالم اذ يتحقق العالم بوجوده ونظراً الى هذا اللزوم فانه يمكن انتزاع وصف الإرادة ونسبها الى الله.[٨٦]

النتيجة

من خلال دراسة آراء الحكماء المسلمين والتي يتعلق بعضها بأفكار القرون الوسطى وجاء تقرير ولفسن على ذكرهم بأنهم الفلاسفة العرب ومع اختيار أجلّهم أي الشيخ الرئيس ابن سينا وكذلك من خلال التدقيق في أعمال وأفكار المتكلمين والحكماء المسلمين الآخرين، نجد نقاطا قيمة للغاية تظهر تعمقهم في التأملات الفلسفية. وتعتبر مسالة الإرادة كما رأينا من أهم هذه البحوث التي لم يتردد لا الحكماء ولا المتكلمون المسلمون في نسبتها الى الله؛ لكن ومن أجل تحاشي النتائج التي يمكن أن تحول دون وصف الكمال الإلهي كما هو حقه، تطرقوا بداية الى تبيين ماهيتها، ووضحوا قصدهم من الأمر المنسوب. وأوجدوا بذلك عقبة جادة امام سوء الفهم. ان

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

القارئ ومن خلال الدراسة الدقيقة لآراء الفلاسفة المنتخبين في نص المقالة ومقارنة آرائهم بما يتأتى من تقرير ولفسن شارح اسبينوزا حول نظريته بشأن الارادة، يتوصل الى هذه النتيجة بأن الكثير من النـــزاعات كانت كلامية وأن الهاجس الجدي لجميع الفلاسفة المنشودين لم يكن جدلاً فلسفياً بحتاً لأجل إثبات أحقيتهم، إنما هو حب الله والأهمية التي يولونها لتقديم صورة كمالية عن الله والاستناد الى حفظ الشأن الالهي. فاذا كان اسبينوزا يستوحش من نسب الإرادة الحرة الى الله، فإن الهاجس نفسه موجود لدى العلامة الطباطبائي وإذا كان اسبينوزا غير مستعد لأسباب لغض النظر عن الاختيار الالهي لكنه يتجنب الإرادة الحرة. فان الفلاسفة المسلمين غير مستعدين إطلاقاً نسب صفات الى الله حتى لو أمكن أن تحمل وهم النقص. لذلك يمكن القول بان منزلة هؤلاء الكبار تتجسد في اعطائهم الأصالة للكمال الذي يعتبرون أن الله يستحق هذا الوصف فقط لا غيره.

الهوامش

1- The Philosophy of Spinoza

٢- فلسفة اسبينوزا ج ٢ ص ١٦٤

٣- اسبينوزا في القسم الثاني من "الأخلاق وفي تبصرة القضية ٤٨ يقول بصراحة " أقصد بالارادة قوة التصديق أو الانكار وليست الرغبة" وفي القضية ٣٢ من القسم الاول بوجوب ذلك وليس باستقلاليته.

٤- الأخلاق ص ١٢

٥- فلسفة اسبينوزا ج ٢ ص ١٦٤

٦- يقول ولفسن إن كلمة desire مأخوذة من الكلمة اليونانية * والتي هي وفق رأي أرسطو تدل على نفس المعنى باللغة الانجليزية ص ١٦٥. نوصي القارئ أن يراجع مقالة "ماهية الإرادة في آثار اسبينوزا" لكي يكون على بينة من ماهية الإرادة عند اسبينوزا، نشرة مفيد ص ٤١

٧- فلسفة اسبينوزا ص ١٦٥

٨- نوصي القارئ أن يراجع مقالة "ماهية الإرادة في آثار اسبينوزا" لكي يكون على بينة من ماهية الارادة عند اسبينوزا، نشرة مفيد ص ٤١

٩- إن السبب في فصل المطلوب عن الخير هو أن المطلوب من الممكن أن يكون شيئا شريرا ولا يشترط أن يكون خيراً.

١٠- فلسفة اسبينوزا ص ١٦٥

١١- المرجع السابق

١٢- المرجع السابق

١٣- الشهيد المرحوم المطهري أشار الى نفس المفهوم في كتابه "فلسفة الأخلاق" ص ٢٧-٢٨ وقد ميز بين "الرغبة" و "الارادة" حيث أشار الى أن "الرغبة" في الإنسان هي قوة جاذبة تجر الإنسان نحو الأشياء الخارجية، وبشكل اوضح مثل الرغبة بانها مرتبطة بالعالم الداخلي للانسان، اي ان الإنسان وبعد أن يفكر يميز الصالح عن الطالح وفي هذه الحالة يتبع أوامر العقل وليس ما تمليه عليه رغبته، وفي أغلب الأحيان فإن العقل إذا ما رأى مصلحة ما وقرر الإنسان ذلك فإن فتوى العقل هي التي تنفذ وعلى النقيض من الرغبة الداخلية والتي يحس بها. ويريد الشهيد المطهري أن يقول إن الارادة لها مكانتها العقلية في حين تفقد الرغبة هذا الشئ، الرغبة تميل الشئ الخارجي مع أنها لها جاذبيتها الداخلية أما الإرادة فإنها تعين عقل الإنسان وهو شيء داخلي محض.

١٤- فلسفة اسبينوزا ص ١٦٦

١٥- القسم الثاني الفصل ١٧

١٦- فلسفة اسبينوزا ج ٢ ص ١٦٤

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

١٧- المرجع السابق

١٨- إن الفلاسفة المسلمين وعلى النقيض من اسبينوزا يقدمون الإرادة على الرغبة في العمل المراد والمنتخب علماً بأنهم يفرقون بين خيال العقل و إرادته أيضاً. وبالطبع يجب أن نلاحظ بأن الإرادة كما في تعريف اسبينوزا تعادل قوة لأجل التصديق أو التكذيب، الخير أو الشر لشيء ما وبمبادئ الأفعال الاختيارية والتي تشكل رأي الفلاسفة المسلمين الذين يعتقدون بفائدة الفعل قبل الشوق ونستطيع القول ان "الإرادة" بهذا المعنى يشبه الاصطلاح وفي الخلق ليس هناك اختلاف وعند الفلاسفة المسلمين هذا المعنى (أي التصديق بالفائدة) تسبق الرغبة. أما إذا كانت مطابقة لآراء الفلاسفة المسلمين الذين يرون بأن الرغبة تسبق الإرادة، والتصديق بالخير شيء مبدئي ومن هذه الجهة اختلاف رئيسي بين ما يسميه "إرادة" وبين ما يعتقد به فلاسفتنا حول هذا الموضوع.

١٩- فلسفة اسبينوزا ص ١٦٧

٢٠- الأخلاق، القسم الثاني القضية ٤٨

٢١- المرجع السابق، القضيه ٤٨

٢٢- فلسفة اسبينوزا ص ١٦٨

٢٣- Voluntas→Will

٢٤- appetites→

٢٥- نهاية الحكم ج ١ ص ٣٩٤ وما يليه

٢٦- الأسفارج ٤ ص ١١٣ و ١١٤

٢٧- المرجع السابق ص ١١٤

٢٨- المرجع السابق ص ١١٣

٢٩- المرجع السابق ص ١١٤

٣٠- كشف المراد، المقصد الثاني ص ٣٥٨

٣١- المرجع السابق ص ٣٥٨

٣٢- المرجع السابق ص ٣٥٨ و ٣٥٩

٣٣- التعليقات ص ١٩٧

٣٤- المرجع السابق ص ١٩

٣٥- أشار مؤلف كتاب "تعليم الفلاسفة" الى هذه العبارة اذ يقول : «أصعب مسألة من مسائل الفلسفة هي مسألة إرادة الله تعالى إذ أشارت خلافات كثيرة بين المذاهب الكلامية والفلاسفة على اختلاف تفاسيرهم وخلقت مباحثات ومناقشات كثيرة» (راجع تعليم الفلسفة ج ٢ ص ٣٨٩)

٣٦- كشف المراد ص ٤٠

٣٧- بهشتي، شرح النمط الخامس ص ٢٨٠

٣٨- التعليقات ص ١١

٣٩- المرجع السابق ص ١١

٤٠- المرجع السابق ص ١١

٤١- المرجع السابق ص ١١

٤٢- الشفاء ص ١١

٤٣- المرجع السابق ص ٣٩٤

٤٤- التعليقات ص ١٣٨

٤٥- المرجع السابق ص ١٢١

٤٦- المبدأ والمعاد ص ٣٢

٤٧- فلسفة اسبينوزا ص ١٧١

٤٨- المرجع السابق ص ١٧٢

٤٩- الحالة مصطلح أساسي في بناء أفكار اسبينوزا (راجع "الاخلاق" ترجمة الدكتور جهانغيري ص ٩)

٥٠- فلسفة اسبينوزا ص ١٧٢

٥١- المرجع السابق ص ١٧٢

٥٢- اسبينوزا، في قسم تعاريف كتاب الأخلاق وعلى هامش التعريف السابع يسمي الشيء "حر" إذا ما كان بطبيعته موجوداً وحصريا يتعين العمل به في ذاته فهو "يقول" المختار أو المخير الذي يكون بشكل ضروري

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

لطبيعته موجودا وبمجرد اقتضاء طبيعته بأفعاله موجب (الاخلاق ص ٨)

٥٣- فلسفة اسبينوزا ص ١٧٣

٥٤- المرجع السابق ص ١٧٣

٥٥- الاخلاق ص ٣٣

٥٦- المرجع السابق ص ٣٣

٥٧- التعليقات ص ١٩

٥٨- المرجع السابق ص ١٩

٥٩- المرجع السابق ص ١١

٦٠- المرجع السابق ص ١٩

٦١- المرجع السابق ص ١٣

٦٢- المرجع السابق ص ١٠

٦٣- المرجع السابق ص ١٥

٦٤- المرجع السابق ص ١٠

٦٥- المرجع السابق ص ١١

٦٦- المرجع السابق ص ١٤

٦٧- المرجع السابق ص ١١

٦٨- المباحث المشرقية ج ٢ ص ٤٨٥

٦٩- المرجع السابق ص ٤٨

٧٠- المرجع السابق ص ٤٩٠

٧١- المرجع السابق ص ٤٩١

٧٢- المرجع السابق ص ٤٩١

٧٣- كشف المراد ص ٤٠٢

٧٤- المرجع السابق ص ٤٠٢

٧٥- الاسفارج ٦ ص ١٤٥

٧٦- الشواهد الربوبية ص ٣٨

٧٧- الأسفارج ٦ ص ٣٣٣

٧٨- المرجع السابق ص ٣٣٣

٧٩- المرجع السابق ص ٣٥٥

٨٠- المرجع السابق ج ٦ ص ٣٥٥ و ٣٥٦

٨١- نهاية الحكم ج ٣ ص ٢٩٣

٨٢- المرجع السابق ص ٢٩٣

٨٣- المرجع السابق ص ٢٩٧ – ٢٩٨

٨٤- المرجع السابق ص ٣٠٠

٨٥- المرجع السابق ص ٣٠٠

٨٦- المرجع السابق ص ٣٠١

المصادر

[١] ابن سينا، أبوعلي، «التعليقات»، طبعة منقحة، قسم النشر، مركز الاعلام الاسلامي للحوزة العلمية في قم ١٣٧٩/ ٢٠٠٠ .

[٢] ـــــــــــ، «الشفاء»، بحث آية الله حسن زادة آملي، الطبعة الأولي، قسم النشر، مركز الاعلام الاسلامي للحوزة العلمية في قم ١٣٧٦/ ١٩٩٧ .

[٣] ـــــــــــ، «المبدأ والمعاد»، عبد الله نوراني (بتصرف)، مؤسسة الدراسات الاسلامية، جامعة مک جيل، طهران، ١٣٦٣/ ١٩٩٧.

[٤] اسبينوزا، باروخ، «الأخلاق»، ترجمة الدكتور محسن جهانغيري، الطبعة الاولى، دار النشر الجامعي ١٣٦٤ / ١٩٨٥.

[٥] برنجكار، رضا، «ماهية الإرادة في آثار اسبينوزا» المجله، الشيخ المفيد، العدد ٤١، اذار ونيسان ١٣٨٣ / ٢٠٠٥ .

[٦] بهشتي احمد، «شرح النمط الخامس من الاشارات» (صنع وابداع)، دار النشر، جامعة طهران، ١٣٧٩ / ٢٠٠٠، الطبعة الاولي.

[٧] الرازي، فخر الدين، «المباحثات الشرقية في علم الالهيات والطبيعيات»، مكتبة بيدار، قم ١٤١١ هجري / ١٩٩١، الطبعة الثانية.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

[٨] الطباطبائي، محمد حسين، «نهاية الحكمة»، ترجمة وشرح علي شيرواني، ج ٣، الطبعة الرابعة، ١٣٧٦ / ١٩٩٧ قسم النشر مركز الاعلام الاسلامي بالحوزة العلمية في قم.

[٩] العلامه الحلي، «كشف المراد»، بحث وتعليق الأستاذ حسن زاده آملي، الطبعة السابعة ١٤١٧ / ١٩٩٧ دار النشر الاسلامي.

[١٠] مصباح، محمد تقي، «تعليم الفلسفة»، ج ٢، الطبعة الاولي، ١٣٦٥ / ١٩٨٦ موسسه الاعلام الاسلامي.

[١١] مطهري، مرتضي، «فلسفه الاخلاق»، الطبعة الرابعة ١٣٦٢/ ١٩٨٣، دار النشر الاسلامي .بموسسة ١٥ خرداد.

[١٢] ملاصدرا، محمد بن ابراهيم، «الاسفار الاربعة»، الجزآن ٤ و ٦، الطبعة الثالثة ١٩٨١، دار احياء التراث العربي، بيروت.

[١٣] ـــــــــــ، «الشواهد الربوبية»، تعليق وتصحيح ومقدمة سيد جلال الدين اشتياني، مركز النشر الجامعي ١٣٦٠ / ١٩٨١ .

المواقع الانترنتية

[14] Spinoza ،Benedict ،"Short treatise"

[15] Spinoza ،Benedict، "Ethics" Translated by R.H.M Elwes، New York ،1951

[16] Wolfson ،Harry Austryn ،"The Philosophy of Spinoza" Harvard university press ،1887 – 1974 ،Two volume in one.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:37 IRDT on Monday August 31st 2020

تقریر«ولفسن» از نظریه اسپینوزا درباره اراده و مقایسه آن با دیدگاه بعضی از حکمای مسلمان

زهرهٔ توازیانی[1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۵/۸/۲۸ تاریخ پذیرش: ۱۳۸٦/۹/۲٤

سخن بر سر جواز یا عدم جواز نسبت اراده به خداست. اسپینوزا فیلسوف نامدار یهودی قرن هفدهم از جمله فیلسوفانی است که به صراحت در جواز نسبت اراده به خدا تردید افکنده است. او نه تنها صریحاً آزادی اراده را در خدا انکار کرده است بلکه به تصریح، همان حکم را در مورد انسان نیز جاری دانسته است و شارح بزرگ او ولفسن در تقریر خود از نظریه وی، ضمن توضیح نظر وی اعتراف می کند که اسپینوزا در بحث اراده خداوندی به آرای فیلسوفان قرون وسطی و فیلسوفان عرب که احتمالاً از طریق ابن میمون فیلسوف نامدار دیگر یهودی درجریان آن قرار گرفته، متفطن بوده است و تا حدی نیز متأثراز آرا و اندیشه‌های ایشان شده است.

در این مقاله سعی شده ضمن توضیح و تبیین نظریه اسپینوزا در مسأله اراده به تقریر ولفسن، نظر چند تن از حکیمان مسلمان نیز که در همین مسأله اما و اگرهایی داشته‌اند تحلیل شود تا در نتیجه نشان داده شود که بسیاری از اختلافات میان این بزرگان لفظی بوده و در ورای بحث‌های لفظی مشابهت‌های زیادی میان تفکر ایشان یافت می‌شود و آنچه نهایتاً برای جمله آنها اصالت دارد سمت و سو دادن بحث اراده به صورتی است که کمال خداوندی و شأنیت الهی کمترین خدشه‌ای نبیند.

کلید واژگان: خدا، اراده، اختیار، اراده‌الهی

۱. استادیار دانشگاه الزهرا